مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(عبرانيين ٤: ١٤-١٦؛ ٥:١-٦)

يا إخوةُ، اذ لنا رئيسُ كهنةٍ عظيمٌ قد اجتازَ السمواتِ، يسوعُ ابنُ اللهِ، فَلْنَتمسَّكْ بالإعترافِ* لأن ليس لنا رئيسُ كهنةٍ غيرُ قادرٍ أن يرثيَ لأَوهانِنا بل مُجرَّبٌ في كلّ شيءٍ مثلَنا ما خلا الخطيئَةَ* فلنُقبِلْ اذًا بثقةٍ إلى عرشِ النعمةِ لننالَ رحمةً ونَجِدَ ثقةً للإغاثةِ في أَوانِها* فإنَّ كُلَّ رئيسِ كهنةٍ مُتَّخَذٍ منَ الناسِ يُقامُ لأجلِ الناسِ فيما هو للّهِ ليُقرِّبَ تقادِمَ وذبائحَ عن الخطايا في إمكانه أن يُشفِقَ على الذين يجهلونَ ويَضِلُّون لكونهِ هو أيضًا متلبِّسًا بالضُّعفِ* ولهذا يجبُ عليه أن يقرِّبَ عن الخطايا لأجلِ نفسِه كما يقرِّبُ لأجلِ الشعبِ* وليسَ أحدٌ يأخُذُ لنفسِهِ الكرامةَ بل مَن دعاهُ اللّهُ

أحد الصليب

«إننا اليوم إذ نرى صليبَ المسيح الكريم، فلنسجد بإيمانٍ له، ولنصافحه بفرح، مُبتهلين للذي صُلب باختياره لكيما يؤهّلنا جميعاً للسجود للصليب الكريم ونبلغ معاً نهارَ القيامةِ البهيّ، خلواً من دينونة» (إكسابوستيلاري أحد الصليب).

اليوم بلغنا منتصف الصوم المبارك ونحن نسجد للصليب المحيي الذي عُلِّق عليه خالِقنا وإلهنا، الذي أوصانا أن نتبعه حاملين صليبَنا. إنّ الصليبَ الذي كان علامةَ الموت المهين أصبح بارتفاع المسيح عليه مدخلاً للحياة الكريمة إذ إنه لحظة موت الرب على الصليب «قام كثير من أجساد القديسين الراقدين» (متى ٢٧:٥٢). أهمية الصليب إذاً تتأتّى من أهميّة المصلوب عليه الذي أعطاه معنى جديداً ودوراً جديداً.

لماذا وضعتِ الكنيسة الصليب في منتصف الصوم قبل أن نصل إلى اسبوع الآلام؟

يلاحظ المؤمن أنَّ الصليب في الكنيسة موضوعٌ فوق الأيقونسطاس. خلف الصليب تظهر حنْيّةُ الهيكل وفيها أيقونةٌ للعذراء مريم وفي حضنها ربنا يسوع المسيح. هذه الأيقونة تُسمى «الأرحب من السموات» لأن العذراء مريم حملت في أحشائها مَن لا تسعُهُ السموات. الكنيسة تقول لنا إنَّ صليب المسيح هو المعبرُ الوحيد إلى السموات لذلك نراه مُعلّقاً في الوسط بين الأرض والسماء وحين عُلِّق عليه المسيح فتح لنا أبواب الفردوس التي أُغلِقت في وجه آدم.

العدد ٢٠١٢/١٢
الأحد ١٨ آذار
الأحد الثالث من الصوم
أحد الصليب الكريم
تذكار أبينا الجليل في القديسين كيرلس رئيس أساقفة أورشليم
اللحن السابع
إنجيل السَحَر السابع

يتألّف الصليب من خشبتين، واحدةٌ أُفقية والأخرى عمودية. على الخشبة الأفقيّة بسط المسيح المصلوب يديه ليضم جميع البشر إليه، هاتان اليدان المسمّرتان يلفُّ بهما كلَّ العالم ولا يُغلقهما في وجه أحدٍ، بل يُبقيهما مفتوحتين في انتظار التائبين العائدين إليه. أما الخشبةُ الأخرى العموديّة فهي تصل الأرض بالسماء أي تجمع الإنسان مع الله في شخص المسيح الإله المتجسد.

لقد انفصل الإنسان الأول عن الله وعن أخيه بسبب المعصية، أما الآن فتعود هذه اللُحمة بين الإنسان وأخيه وبين البشر والله من خلال طاعة المسيح وارتفاعه على الصليب الذي جمع المتفرقين. حين كان آدم

كما دَعا هرون* كذلكَ المسيحُ لم يُمجّدْ نفسَهُ ليصيرَ رئيسَ كهنةٍ بَلِ الذي قالَ لهُ أنتَ ابني وأنا اليومَ ولدتُكَ. كما يقولُ في موضعٍ آخرَ أنتَ كاهنٌ إلى الأبدِ على رتبَةِ مَلكيصادَق.

الإنجيل

(مرقس ٨: ٣٤–٣٨؛ ٩: ١)

قال الربُّ من أراد أن يتبَعَني فليكفُرْ بنفسِهِ ويحمِلْ صليبَهُ ويتبعْني لأنَّ مَن أراد أن يخلِّصَ نفسَهُ يُهلكُها ومَن أهلك نفسَهُ من أجلي ومن أجل الإنجيل يخلّصُها* فإنَّهُ ماذا ينتفِعُ الانسانُ لو ربحَ العالَمَ كُلَّهُ وخَسِرَ نفسَهُ* أم ماذا يُعطي الانسانُ فِداءً عن نفسهِ* لانَّ مَن يستحي بي وبكلامي في هذا الجيلِ الفاسقِ الخاطئ يستحي بهِ ابنُ البشر متى أتى في مجدِ أبيهِ مع الملائكةِ القديسين* وقال لهم الحقَّ أقول لكم إنَّ قومًا من القائمين ههنا لا يذوقون الموت حتَّى يَرَوْا ملكوتَ اللّهِ قد أتى بقوَّةٍ.

عائشاً في الجنّة آثر الأكل من شجرةِ معرفةِ الخيرِ والشرِّ ففقد إمكانيّة الأكل من شجرةِ الحياة المغروسة في وسط الجنَّة والتي كانت تمنحه الحياة الأبدية. أمَّا اليوم، إذ نمتنع عن المآكل عبر الصوم والجهاد، فغايتُنا أن نتغذّى من العود المحيي أي الصليبِ المنتصب في وسط الكنيسة، الذي يمنح الحياة الأبدية لكلِّ مَن يصافحه بشوقٍ، وما الحياةُ الأبدية سوى حياة المسيح المعلّق عليه، الذي نأكل جسده ونشرب دمه في كلّ قداس إلهي.

يقول الربِّ في إنجيل اليوم: «مَن أراد أن يخلّص نفسه يُهلِكها، ومَن أهلك نفسه من أجلي ومن أجل الإنجيل يخلّصها». هذه الوصيّة لا تُشجّع على كره الذات. أن نُهلك حياتنا لا يعني أن نقتل نفوسنا أو أن نهوى عذابنا، بل أن نميت ما فينا من تعلُق بالدنيويّات التي تجعلنا نستمتع بشهواتِ هذه الحياة الخدّاعة وملذاتها مهملين الحياة الأبدية التي لا غشَّ فيها. إنَّ اللهَ يوصينا أن نهلك ذواتِنا بسبب محبته لنا وليس العكس، فهو يتعامل معنا كما يؤدِّب الإنسان إبنه. هذا التأديب وردَ في سِفر الأمثال: «إن ضربتَ ابنك بعصاً لا يموتُ، تضربه أنت بعصاً فتُنقذُ نفسه من الهاوية» (أم ٢٣: ١٣–١٤). إن الموت أمرٌ حاصلٌ ولا مفرَّ من مواجهته، لذلك يطلب منا الرب الاستعداد للقائه كما يستعدُّ الجنديُّ للحرب. فهو يتحضَّر لها قبل وقوعها كأنّها واقعةٌ. هذا ما يجعلنا نفهم القول الآبائي المأثور: «إن مُتَ قبل أن تموت، فلن تموت عندما تموت».

لقد تحوّل الصليب بموتِ المسيح عليه من علامةِ ضعفٍ وإذلالٍ وكراهيّةٍ إلى علامةِ قوّةٍ وافتخارٍ ومحبّة. حينما ننظر إلى الصليبِ ونُجِلّه، نكون شاخصين إلى القيامة التي تليهِ والصعودِ إلى السموات والجلوس عن يمين الآب، عندها يعينُنا الربُّ على حملِ صليبنا ونعتبره كالمخاضِ الذي يسبق الولادة الجديدة. من هذا المنطلق تضع الكنيسة الصليب المكرَّم في منتصف الصيام لنسجد له، لأن الكنيسة وعت انه بالصليب حصل الخلاص للعالم بأسره. وبهذا نتشجع لنتابع مسيرة الصوم المبارك بعد أن يكون التعب قد داهمنا بعد ثلاثة أسابيع من الصوم والجهاد.

ألا أهّلنا الربُّ لنحمل صليبنا بفرح حتى نصير شركاء قيامةِ المسيحِ المجيدة.

الصوم

في هذا الزمن المبارك زمن الصيام الأربعيني المقدّس تتزايد التساؤلات عند المؤمنين. ما نفع الصوم ولماذا نصوم؟ ولماذا الإمتناع عن تناول الزفرين وهذا التغيير الذي يطال الوجبات اليومية؟ بالإضافة إلى كثير من التساؤلات الأخرى. ويدّعي البعض ان السيد في الكتاب المقدّس لا يطلب منّا أن نصوم بل أن نصلّي.

يجب أن ننتبه إلى وجود نوعين من النقد والتساؤل. هناك النقد البنّاء الذي يهدف إلى البنيان والتساؤل الذي يهدف إلى المعرفة الحقة، وهناك النقد الهدّام الذي يقف عند حدود التذمّر والمخالفة معتمداً على شرعة «خالف تُعرف» والتساؤل لمجرد الشك بكل شيء. إنّ أيّ مقاربةٍ للصوم مبنيّة على النقد الهدّام ليست سوى مضيعة لوقت المؤمن. أمّا النقد البناء فمن المفيد

تأمل

«مَن أراد أن يتبعني». كلّ مَن يريد يمكنه أن يترك الأرض ويصعد إلى السماء، ولا يحتاج لهذا إلاّ رغبةً وفضيلةً! يقول الكثيرون: «أريد، لكنّني لا أستطيع لأنّ الفضيلة صعبة». إنّها ليست صعبة أبداً إن كانت لديك غيرة وتوق إلى الله.

فكّر بأولئك الذين ينسكون في الجبال والبراري، ماذا يفعلون؟ يتركون بيوتهم، أقرباءهم، ثروتهم وكلّ رفاهية، يغلقون على أنفسهم في قلاّيات صغيرة ويُتعبون أجسادهم بالصوم والسهر والجهادات القاسية. ولا تقل لي: «أولئك يستطيعون القيام بهذه الأعمال لكنّني أنا لا أستطيع»، لأنّ الكثير من النساك، مع أنّهم كانوا أضعف منك وكانوا يعيشون حياة أكثر رخاءً، قرروا حياة التوحّد القاسية. ستقول لي أيضاً إنّ هذا الجهاد كبير جداً ولا يحتمله الجميع؟ إذاً، حينئذٍ جاهد جهاداً أصغر وانشد نُسكاً وفضيلةً أدنى.

التطرّق إليه بهدف البنيان الروحي الشخصي والجماعي.

يعرض لنا الكتاب المقدس لكثير من حالات الصوم. في العهد القديم صام إيليا قبل لجوئه إلى جبل حوريب (١مل ١٩:٨) وصام أهل نينوى لينجوا من وعيد الخراب (يونان ٣:٥). هذا بالإضافة إلى الدعوة الأولى للصوم التي أعطيت للجدّين حين طلب منهما الخالق بألاّ يأكلا من شجرة معرفة الخير والشر. أما العهد الجديد فيخبرنا بأنّ السيّد قبل بدء عمله البشاري صام، ويوحنا السابق كان صواماً أيضاً.

نلاحظ أنّ الصوم في الكتاب المقدس يسبق الأحداث الكبرى ليدخل المرء في حالة من اللامادية، وغالباً ما يقترن الصوم بالصلاة. وقد طلب السيد بأن تقترن الصلاة بالصوم عندما قال «هذا الجنس لا يمكن أن يخرج بشيء إلا بالصلاة والصوم» (مر ٩: ٢٩).

في الفكر الآبائي يُعتبر الصوم صلاة الجسد والصلاة هي صوم الروح. بذا تترافق الصلاة التي تتلوها شفاهنا بالصلاة الجسدية ألا وهي الصوم.

طبعاً الصوم فيه شيءٌ من الصعوبة إذ تتغير حياة الإنسان اليوميّة وفي هذا التغيير تحضيرٌ لعيش تذكار الأسبوع الأخير الذي قضاه السيد مع تلاميذه قبل الصلب. الصوم الأربعيني يسبق الأسبوع العظيم لنقوم مع السيد في يوم الفصح. الصعوبة هي في الإمتناع عن تناول الزفرين. بحسب التقليد الرهباني هذا يعني الإمتناع عن تناول اللحوم والمنتجات الحيوانية إضافة إلى الزيت. لكن لأنّ الكنيسة مدركة للتغيّرات الحياتيّة وحاجة الجسد إلى الطاقة، يتمّ التغاضي عن الإمتناع عن الزيت بشكل تدبيريّ في المجتمعات المدنيّة ويقتصر على الأديار. فالهدف ليس تحطيم الجسد وإنّما تدريبه لإجتياز ميدان الصوم، مرتفعين عن الإهتمامات المادية. إذاً الكنيسة ليست غريبة عن المجتمع والقوانين قابلةٌ للتغيّر إذ ما من ثابت إلاّ العقائد. تشعر الكنيسة مع أبنائها ولكنها لا تشجع على الإستهتار بمبادئ الصوم. المشكلة تكمن في انحدارنا من التفكير بالروحيات إلى التفكير بالمادّة. حبّذا لو نفكّر بكيفيّة تقديم المزيد من الصلاة والتقدمات بدل التفكير بتقديم الملّذات لأجسادنا. ألا ما أمتع النظر إلى المصلوب من أجلنا بدل النظر إلى الموائد الفاحشة. المحزن أنّنا نرى موائد باهظة التكاليف «صيامية» كما يسمّيها الماديون.

قد يكون الصوم صعباً لكنه ليس بمستحيل على مَن يعيشون الصليب يوميًّا. في الجبل المقدس آثوس عاش في أواخر القرن الماضي راهبٌ قديس هو الأب باييسيوس. كان هذا الراهب يمتنع عن تناول الأطعمة طيلة فترة الصوم الأربعيني. في المنطق البشري والمادّي إنّه لأمرٌ مستحيل، ولكن في منطق الذين يعيشون مع الله إنّه لأمر ممكن إذ تثمر الصلوات والأصوام طاقةً تغذي الجسد وتساعده على اجتياز هذه الفترة والقيامة في اليوم الثالث. ليست هذه دعوة إلى الإمتناع عن تناول الطعام لمدة أربعين يوماً إذ إنّ هذا المثل هو نتاج خبرة روحية طويلة وحياة في المسيح، ومن الطبيعي ألاّ يفهمه العقل البشري كوننا أمام مسألة تخالف الناموس الطبيعي

لا تستطيع أن تصرف أموالك على الفقراء؟ على الأقل لا تسلب الآخرين. لا تستطيع أن تصوم؟ على الأقل لا تنغمس في الملذّات المادية. لا تستطيع أن تصلّي لأولئك الذين يشتمونك؟ على الأقل احتمل الإهانات بصمتٍ وطول أناة. لا تستطيع أن تُحسن إلى أولئك الذين يؤذونك؟ على الأقل لا تنتقم منهم.

لقد احتمل المسيح الطاهر، والبريء من الخطأ، الكثير لأجلك، وأنت لا تريد أن تحتمل أي شيء من أجله أو بالحريّ من أجل منفعتك النفسيّة وخلاصك؟ إذاً، كيف ستمثل أمامه في يوم الدينونة؟ أيّ دفاع ستعطيه عن مخالفتك وصاياه؟ لا تخدع نفسك وتقول: «لأتمتّع الآن بملذات الحياة، لأظلم قريبي، ولأنتقم من عدوّي، لأعمل كلّ خطيئة وفي شيخوختي سأتوب». قل لي، مَن أكّد لك أنّك ستعيش إلى ذلك الوقت؟ ألا ترى كم يزور الموت من الشباب يومياً؟ ولنفترض أنّك متَّ في عمرٍ كبير، عندئذٍ كيف ستواجه الرب وأنت على مدى حياةٍ كاملة كنت تحتقره وتخدم الشيطان؟

القديس يوحنا الذهبي الفم

للبشر. إلاّ أنّ ذكرها هنا هو للإشارة إلى أنّ زمن حياة القداسة لم ينتهِ مع الآباء القدماء وكلّنا مدعوون للتقرّب من الله.

أمّا الحوافز التي تساعدنا وتغذّي العقل والروح في هذا الجهاد، فهي الصلوات اليومية التي رتّبتها الكنيسة خلال فترة الصوم. هذه الصلوات من الناحية الروحية هي البديل عن الطعام. تشكّل الغذاء الذي يفتقده الجسد من الأكل. من ناحيةٍ أخرى رتّبت الكنيسة في كلّ أحدٍ تذكاراً لحوادث وقديسين بهدف تقوية الإيمان والثبات في المسيرة الجهادية عبر التمثّل بهؤلاء كالقديس غريغوريوس بالاماس والقديسة مريم المصرية والقديس يوحنا كاتب سلّم الفضائل. كما رتبت أن نقيم في هذا الأحد، في منتصف الصوم، تذكار الصليب الكريم المحيي لتقوية المؤمنين الذين من الممكن أن يكونوا قد تعبوا جسدياً. يرتفع الصليب في وسط الكنيسة في هذا الأسبوع كتذوّق مسبق للحالة التي سيعيشها المؤمن في نهاية جهاده.

حبّذا لو نرتقي بناظرنا نحو المصلوب مترفّعين عن كلّ اهتمام دنيوي مادّي لنجوز ميدان الصوم ونظفر بالصليب مع السيّد متخطّين كلّ الأهواء التي تشتّت العقل والروح.

بشارة والدة الإله

بمناسبة عيد بشارة سيدتنا والدة الإله يترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة صلاة الغروب عند السادسة من مساء السبت ٢٤ آذار ٢٠١٢ وخدمة القداس الإلهي عند التاسعة والنصف من صباح الأحد ٢٥ آذار في كنيسة بشارة السيدة في الأشرفية.

إشارة الصليب

أحد أهم الطقوس والحركات الليتورجية التي يمارسها الإنسان المسيحي المؤمن رسم إشارة الصليب. فعند النهوض من النوم نرسم الصليب على وجوهنا كأول عمل نقوم به في اليوم ليحفظنا الرب ويغدق علينا نِعَم صليبه الكريم المحيي، وقبل ذهابنا للنوم نرسم إشارة الصليب لكي نُحفظ «من رقاد الخطيئة المدلهم»، كما نرسم إشارة الصليب قبل الأكل وبعده وعند شرب الدواء وقيادة السيارة أو القيام بأي عمل لكي يبارك الرب كل ما نقوم به.

أما رسم إشارة الصليب فيكون بضم أصابع الإبهام والسبابة والوسطى دلالة على وحدة الثالوث الأقدس، الآب والإبن والروح القدس. أما الإصبعان الأخيران فنضمهما إلى بطن كف اليد دلالة على اتحاد طبيعتي المسيح الإلهية والبشرية في أحشاء والدة الإله مريم.

نبدأ رسم إشارة الصليب بوضع يدنا على جبهة رأسنا قائلين: باسم الآب» طالبين من الآب رأس الثالوث أن يملأ ذهننا وعقولنا فلا نفتكر فيما بعد إلا فكر الرب. ثم نضع يدنا على البطن قائلين: «والإبن» طالبين أن يملأ كل أحشائنا وكياننا. بعدها نصعد إلى الكتف اليمنى ثم الكتف اليسرى قائلين: «والروح القدس، إله واحد آمين» لأن الرب صعد إلى السماء وأجلس طبيعتنا عن يمين الآب. نضع الصليب على أكتافنا حاملين صليب الرب الذي دعانا أن نحمل الصليب ونتبعه. والأكتاف هي أقوى موقع في جسد الإنسان يستطيع حمل الأثقال. لذا نضع الصليب على أكتافنا قائلين للرب اننا مستعدون أن نحمل الصليب، وطالبين منه المعونة لكي نستطيع تحمُّل صعاب الحياة.